الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام بيوم ٢٠١٩/٧/٧م

بمناسبة الجلسة السنوية في ألمانيا

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّين. آمين.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

المخاوف التي تنتاب العالَمَ غير الإسلامي أو العالم الغربي أو العالم المتقدم من المسلمين، معظمها ناشئة عن قلة علمهم بتعليم الإسلام. وإضافة إلى ذلك إن تطرُّفَ بعض المسلمين باسم الإسلام، وإرهابهم وتنفيذهم القانون بأيديهم رسخ في أذهان غير المسلمين أن الإسلام دين الإرهاب فحسب. وقد كلّف الله تعالى اليوم جماعة المسيح الموعود والمهدي المعهود، الخادم الصادق للنبي ﷺ بمهمة نشر تعليم الإسلام في العام وإزالة الانطباع الخاطئ بهذا الشأن. فيجب على كل أحمدي أن يسعى بكل ما في وسعه لهذا الغرض. إن عامة الناس في العالم يسمعون ما تقوله الجرائد ووسائل الإعلام الأخرى ويظنون أن ما تقوله هذه الوسائل صحيح تماما. من المعلوم أن الأغلبية من سكان العالم لا يهتمون بالدين بوجه عام. ففي ظل هذه الظروف هناك حاجة إلى بذل جهود كبيرة وإلى سعي دؤوب بهذا الشأن، لأن إطلاع الناس على تعليم الإسلام الجميل تحدٍّ كبير. إن عامة الناس من غير المسلمين يظنون أن تصرفات المسلمين هذه نتيجة تعليمهم ونتيجة عمل مؤسس الإسلام محمد رسول الله ﷺ.

فكما قلتُ آنفا، من واجب كل أحمدي أن يلعب دوره لإزالة هذا الانطباع وإطلاع العالم على تعليم الإسلام الجميل، وأن يخبر العالم بقوله وعمله بتعليم الإسلام الحقيقي وأسوة النبي ﷺ. لقد خلق الله تعالى الإنسان في الدنيا ليؤدي حقوقه وحقوق العباد أيضا. والذين يؤدون حقوق الله إنهم يؤدون حقوق العباد أيضا حتما. ولأداء هذه الحقوق قدّم الله تعالى لنا أسوة نبيه الحبيب والمطاع والإنسان الكامل، ثم قال ما معناه: إن هذه الأسوة الكاملة هادية لكم، فليتأسَ بها مَن

يدّعون كونهم من أمته ﷺ وليسعوا جاهدين للعمل بهذه الأسوة من كل الجوانب والنواحي، وليخبروا الناس أن هذا هو الإسلام الحقيقي وليس الذي يقدمه بعض الإرهابيين باسم الإسلام، أو الذي تقدمه وسائل الإعلام الغربية بصورة مبالَغ فيها.

لقد قدّم لنا رسول الله ﷺ أمثلة جملية من خلال أسوته الحسنة، وسأقدم لكم الآن بعضا منها فقط لنختبر أعمالنا على محك تلك الأسوة ونفحصها في ضوء تلك الأخلاق السامية التي نصحنا النبي ﷺ بالالتزام بها في حياتنا العملية. وأن نفحص أنفسنا في ضوء ما قدمه لنا ﷺ بحسب تعليم الإسلام. وإذا قضينا حياتنا بحسب هذه النصائح والتعاليم عندها فقط يمكننا أن نخبر العالم ما هو الإسلام في الحقيقة، وأن تعليم الإسلام حصرا هو ما يحتاج إليه العالم المعاصر لبقائه.

لقد جعل الله تعالى العبادة الهدف الحقيقي من خلق الإنسان. لم يكتف سيدنا ومطاعنا ﷺ بمجرد القول أن الله تعالى جعل عبادته هي الهدف من حياتكم لذا ينبغي لكل مؤمن أن يسعى لتحقيق هذا الهدف، بل قدّم لنا أسوته الحسنة أيضا في العبادة التي شرّفها الله تعالى بالقبول في حضرته كما يقول ﷻ: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.

فهذه كيفية سجداته ﷺ وعبادته، إذ كان شديد الاضطراب بحيث نظر الله إليه بنظرة الحب وذكر عبادته واضطرابه بوجه خاص. ما سبّب هذا الاضطراب؟! إن هذا الاضطراب والأدعية كانت لأمته ﷺ وللبشرية بوجه عام ليدرك الذين كانوا بعيدين عن الله الهدفَ من خلقهم، لأن من شأن هذا البُعد أن يجلب لهم سخط الله تعالى. لذا قال الله تعالى نظرا إلى اضطرابه ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن قلبك مضطرب بشدة نظرا إلى أنه لماذا لا يهتدي الكفار ولماذا لا يحسّنون دنياهم وأخراهم بالإيمان بالله تعالى. فكما يتبين هنا مستوى عبادته ﷺ، كذلك تتبين كيفية قلبه الطاهر أيضا في إنقاذ البشرية، وما كان قلبه يكنّ من الألم. فمن كانت هذه حال قلبه ويكنّ فيه ألما كبيرا للبشرية أيمكن أن يرتكب ظلما؟! كلاّ، ثم كلا. الحق أنه ﷺ قد قضى كل لحظة من حياته في عبادة الله وخدمة الخلق والألم من أجلهم. كان بعض الصحابة أيضا يحظون أحيانا برؤية كيفية عبادته. يقول أحد الصحابة: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الرَّحَى مِنَ الْبُكَاءِ. ماذا كانت ماهية هذه الأدعية؟ كانت لأمته ولإنقاذ البشرية من الدمار. إنها أدعية النبي ﷺ التي أحدثت حينذاك أيضا انقلابا بحيث عاد الموتى منذ قرون إلى الحياة مجددا وصاروا عبادا حقيقيين لله. إنها كانت أدعية النبي ﷺ التي نالت القبول عند الله تعالى وتسببت في

بعثة محب صادق له لإحياء الإسلام من جديد في هذا الزمن الفاسد. فمن واجبنا نحن الأحمديين أن نرفع مستوى عباداتنا، ونسعى جاهدين للتأسي بأسوة النبي ﷺ ونسجد لله بكثرة، ولكن لا لأهدافنا الشخصية فقط بل لإقامة ملكوت الله ورفع راية النبي ﷺ في العالم ولجعْل أنفسنا عبادا حقيقيين لله تعالى، ولتقريب البشرية إلى خالقها وإنقاذها من الدمار.

كم كان النبي ﷺ يهتم بأداء الصلوات المكتوبة جماعةً، بل يمكن أن نقول أنه كان يتكبّد مشقة في هذا السبيل، كما يتبين من حادث وقع يوم أُحُد حين انغرست حلقات المِغْفَر في خده الأيمن، وسال كثير من دمه، وكان ﷺ مرهقا بسبب الجروح، وفوق كل ذلك كان من شأن حزنه لشهادة سبعين صحابيا أن يحطّم أعصابه، ففي هذه الظروف وفي هذا اليوم أيضا سمع ﷺ صوت الأذان لصلاة الفجر وجاء لأدائها كالمعتاد. وبسبب هذه الأسوة للنبي ﷺ ضرب الصحابة ﷺ أيضا أمثلة عليا في العبادات.

فمن واجبنا جميعا أن نفحص أنفسنا، حين نهتف أن إحياء الإسلام من جديد سيتم الآن بواسطة جماعة المسيح الموعود، ونحن الذين سنحيي تعليم الإسلام مجددا، ولننظر هل مستوى عباداتنا وصلاتنا جماعة يُقارب المستوى المذكور أم لا؟! هناك من يقدم أعذارا لعدم حضور المسجد لأتفه الأسباب. فمثلا لو عطس أحد مرة أو مرتين عند استيقاظه صباحا يقول في نفسه إني معتلٌّ اليوم فلا بأس إن صليتُ في البيت.

باختصار، علينا أن نسعى لرفع مستوى عبادتنا. وإنها الأدعية التي سوف تكون سببا لإحداث الانقلاب في الدنيا في هذا الزمن. وإن تبليغنا الدعوة بغير الدعاء لن يأتي بنتيجة، كذلك إن مساعينا العملية أيضا ستكون بغير نتيجة بدون الأدعية.

فإن كنا نريد أن نعلّم العالَمَ الإسلامَ الحقيقي فلا بد قبل كل شيء من إنشاء العلاقة بالله تعالى بالمستوى الذي أنشأها أصحاب النبي ﷺ متأسين بأسوته، والذي ذكره المسيح الموعود عليه السلام كما يلي: لقد أخبرنا القرآن الكريم عن حال العالم قبل بعثة النبي ﷺ فقال:﴿يَاكُلُونَ كَمَا تَاكُلُ الْأَنْعَامُ﴾، لكنهم حين قبلوا الإسلام صاروا مصداقا لِقوله تعالى: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾. فيجب علينا أيضا أن نخلق في أنفسنا هذه الحال، بدلا من أن نتكاسل في الاستيقاظ لصلاة الفجر.

عن علي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في آخر وصيته حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ: "الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ".

هكذا يؤدَّى حق عبادة الله وحقُّ خلق الله، وهذه هي الوصية الأخيرة التي يجب على المؤمن أن يجعلها نصب عينيه دائما، وهذه هي الغاية التي من أجلها صدّقنا بسيدنا المسيح الموعود عليه السلام والتي يجب أن نجعلها في الحسبان دوما، وليس أن ننسى غاية حياتنا بصنوف الغفلة والكسل والانشغال بمشاغل الدنيا.

ثم يقول الله تعالى: وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا. وقد قدم النبي ﷺ أروع الأسوة في التوكل على الله أيضا، ونجد هذه الأسوة الحسنة في كل موطن في حياته، حتى إنه ﷺ كان قلقًا في مرض الموت من أنْ يكون به ما يشكّل أدنى شائبة من عدم التوكل على الله وهو يحضر عنده تعالى.

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ وضع عندها ستة دنانير أو سبعة، فسألها عنها في مرضه وقال: ما فعل الذهب الذي كان عندك؟ قالت: مازال عندي. قال ﷺ: تصدَّقي به. فانشغلَت عنه، فلما أفاق قال: هل تصدقتِ به؟ قالت: ليس بعد. قالت: فدعا بالدنانير، فوضعها في كفّه وعَدَّها، فقال: «ما ظنُّ نبيِ الله لو لقيَ الله تعالى وهذه عنده؟!». ثم تصدق بها النبي ﷺ. غير أنه ﷺ نصح الآخرين وقال أما أنا فإني نبي الله وحبيبه وهو يعاملني هكذا، أما أنتم فتوكلوا على الله، لكن إذا كان عندكم مال أو عقار فاتركوه لأولادكم مخافة الفقر والابتلاء، ونهى النبي ﷺ عن أن يوصي أحد بأكثر من الثلث في سبيل الله، ومن أجل ذلك بيّن الله تعالى في القرآن الكريم مفصلا طريقة تقسيم الإرث. ولكنه ﷺ قال أيضا: إِنَّ مِنْ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةً، فَمَنْ اتَّبَعَ قَلْبُهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا لَمْ يُبَالِ اللَّهُ بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ كَفَاهُ التَّشَعُّبَ.

فالإسلام يسمح بالقيام بأمور الدنيا ومشاغلها، ولكنه ينهى عن التكالب على جمع العقارات والانشغال بأمور الدنيا ليل نهار. والأمر الأساسي الذي يوجه إليه الإسلام هو عبادة الله والتوكل عليه، وعندها ينجو الإنسان من مشاكل الدنيا أيضا.

لقد حث النبي ﷺ الأمة على التوكل على الله تعالى فقال: لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا.

يجب أن ينبهنا هذا النصح النبوي دائما إلى أن الرزق إنما يأتي من عند الله تعالى، فعلينا ألا نسعى للرزق على حساب عباداتنا. لا بد لنا من العمل، لكن يجب أن يكون توكلنا الحقيقي على الله تعالى، فلا نضيع عباداتنا من أجل العمل.

يقول المسيح الموعود عليه السلام وهو يتحدث عن توكل النبي ﷺ: عندما نُمعِن النظر في سوانح حياة النبي ﷺ نرى جليا أنه بلغ القمة في الإخلاص وصفاء الباطن وكان فدائيا لله، ومتوكلا عليه وحده، وغيرَ طامع في الخَلْق مطلقا، حيث تفانى في مرضاة الله وانمحى كلية، ولم يكترث مطلقا لِما سيواجهه في سبيل الدعوة إلى توحيد الله من مصائب وشدائد، ولِما سيتعرض له على أيدي المشركين من أذى وألم، بل عمل بحكم الله تعالى متحملا في هذا السبيل كل الشدائد والمصائب والمشاكل، وحقق كل شرط من المجاهدة والوعظ والنصح غيرَ آبهٍ بتهديد مهدد على الإطلاق.

أقول والحق أقول إننا لو درسنا واقعات كل الأنبياء لم نجد بينهم نبيا واحدا مثل النبي ﷺ متوكلا على الله في مثل هذه المواقف والمواطن الخطيرة توكلاً واضحا، وناهيًا عن الشرك والوثنية وعدوًّا لهما ولا صابرا ومثابرا مثله.

ثم من الأخلاق الفاضلة صفةُ الشكر، وكان سيدنا ومطاعنا ﷺ أسمى نموذج وأحسن أسوة في هذا الوصف أيضا. كان النبي ﷺ حريصا على الدوام أن يكون شاكرا لربه، وأن يكون أكثرَ عباد الله شكرا له ﷻ. ورد في الحديث أن النبي ﷺ كان يدعو الله تعالى لهذا الغرض قائلا: "ربِّ اجعَلْني لكَ شاكرًا لكَ ذاكرًا". وجاء الدعاء في رواية بلفظٍ آخر، هو: "ربِّ اجعلني لَكَ شَكَّارًا لَكَ ذَكَّارًا لَكَ رَهَّابًا لَكَ مطواعًا لَكَ مخبتًا إليْكَ أوَّاهًا منيبًا". ما أعظمَه من مقام تبوأه ﷺ في التواضع، فكان أكثر الناس شكرًا ومع ذلك يدعو الله تعالى أن يجعله أكثرهم شكرًا له! وذات مرة كان النبي ﷺ يأكل كِسرة خبز بتمرة وقال إن هذا التمرة إدام هذا الخبز، وكان يشكر الله على ذلك. وكثيرا ما كان ﷺ يأكل الخبز بالخل أو الماء فقط، وكان يشكر الله على ذلك أيضا. في هذه الأيام تتيسر لكثير منا أفضل الأطعمة ومع ذلك يشتكون عند أكلها، وتقع الخصومات في البيوت أحيانا بحجة أنَّ المرأة لم تعد طعاما شهيا.

ثم نجد عند فتح مكة نموذجا آخر لتواضع وشكر النبي ﷺ البالغين الذروةَ حيث ورد أن رسول الله ﷺ لما انتهى إلى ذى طوى وقف على راحلته معتجرًا (أي معتمًّا) بشقّةِ بُرْدٍ حَبَرةٍ حمراءَ وإن رسول الله ﷺ ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح، حتى إن لحيته لتكاد تمسّ واسطة الرحل.

ونجد أورع مثال آخر لشكر وامتنان النبي ﷺ وهو أن المسلمين لما تعرضوا للاضطهاد على أيدي الكفار في مكة وهاجروا إلى الحبشة وآواهم ملك الحبشة تذكَّرَ النبي ﷺ هذه اليد البيضاء من

الملك النجاشي دائما، فلما جاء النبيَّ ﷺ وفدُ النجاشي مرة قام ﷺ لاستقباله. فقال الصحابة يا رسول الله نحن نكفيك استقبال الوفد ونحن نحتفي بهم ونستضيفهم، فلماذا تكلف نفسك عناء ذلك؟! فقال لهم النبي ﷺ: إن هؤلاء قد استقبلوا إخواننا بحفاوة وآووهم بإكرام، وإني أحب أن أرد على منّتهم بنفسي.

وإن في ذلك درسًا للذين قد جاؤوا إلى هذه البلاد مهاجرين. إن هذه الدول التي آتتنا حق اللجوء وهيأت لنا أنواع التسهيلات والمرافق، فعلينا أن نشكرها ونبذل جهودنا لخيرها، ولا نكتفي بمجرد إخبارهم بتعاليم الإسلام الجميلة عِلميًا فحسب، بل نقدِّم إليهم نموذجا عَمليًّا للإسلامَ الحقيقي. يجب أن نتذكر دائما أن علينا ألا نضرّ هذه البلاد بأي شكل أو نجلب أيةَ منفعة مالية أو أية تسهيلات بطريقة غير مشروعة.

يجب أن نشكر الله على أننا قد وجدنا هذا الدين بواسطة نبينا ﷺ وتعلّمْنا كل خُلُق بعمقه وذروته. يقول المسيح الموعود عليه السلام بهذا الشأن:

إنه لمن كمال فضل الله علينا أنه قد هدانا إلى الصراط المستقيم في العقائد الكاملة المكتملة بواسطة نبيه ﷺ وذلك بدون أي جهد ومشقة منا. إن الصراط الذي هُديتم إليه في هذا الزمن لا يزال كثير من العلماء محرومين منه. فاشكروا الله على فضله ونعمته، وليس سبيل الشكر على ذلك إلا أن تعملوا بكل صدق تلك الأعمال الصالحة التي تقع في الجزء الثاني بعد العقائد الصحيحة، وادعوا مستعينين بأعمالكم على أن يثبت الله أقدامكم على هذه العقائد السليمة ويوفقكم للأعمال الصالحة. فهذه هي الطريقة المثلى التي يمكن أن يكون بها كل أحمدي شاكرًا لله حقًا.

ثم هناك خلق أداء الأمانة والوفاء بالعهد، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:٩) لنر كيف نتصرف نحن وكيف ضرب لنا النبي ﷺ أسوته الحسنة مقيمًا المستوى الأعظم لهذه الأخلاق. ورد في رواية أن جيش المسلمين لما حاصر خيبرَ جاء عبد لسيد يهودي، وكان يرعى غنم سيده، فجاء مع الغنم إلى مُعسكر المسلمين وأسلم، فقال للنبي ﷺ: يا نبي الله، قد أسلمتُ الآن ولا أريد العودة إلى الكفار مخافة أن يظلموني، وهذه الغنم عندي أمانة فماذا أفعل بها؟ ومالك هذه الغنم يهودي، فقال النبي ﷺ: وجِّهها إلى حصن اليهود ستصل إلى سيدها بنفسها. ففعل فرجعت الغنم إلى أهل الحصن. هذا هو المثال الأعظم لأداء الأمانة إذ قد وقع في يده مال العدو حال الحرب ولكنه ﷺ علّم مسلما جديدا أول درس أن مستوى المسلم في الأمانة

يجب أن يكون عاليا جدا. ولا حق لك ولا حق لنا في هذا المال لذا يجب أن تُرجعه إلى مالِكه. لن تروا مثل هذا المستوى العظيم في وقت الحرب في المجتمع المتطور الحديث أيضا فالذين يعترضون على الإسلام وتعليم الإسلام هم أنفسهم يرتكبون هذه الخيانة أكثر من غيرهم.

ثم نرى التزام النبي ﷺ بعهوده فكان يلتزم بها بحيث اعترف بذلك عدوه أيضا. قد اضطُر أبو سفيان في مجلس هرقل إلى أن يعترف بأن هذا الشخص (ﷺ) لم ينقض عهده معنا قط. ثم في يوم الحديبية بينما كان الصلح يُكتب جاء شخص مكبّل، قد كُبّل بسبب إسلامه، وطلب اللجوء، ولكن والده، الذي لم يكن مسلما، كان موجودا هناك، فقال: بما أننا قد اتفقنا الآن على أنه لن يذهب أحد منا معكم لذا لا تستطيعون أن تأخذوه معكم وإن كان يرجو اللجوء إليكم. فصاح هذا الشخص كثيرا وقال: أأُردّ إلى الكفار لكي يؤذوني؟! فقال النبي ﷺ: قد صالحنا، مع أن الاتفاقية كانت ما تزال تُكتب وكانت بعض الشروط قد كُتبت ولم تكن قد وُقّع عليها، فقال النبي ﷺ: قد كُتب الصلح لذا من أجل الهدف الأسمى ومن أجل هذه الاتفاقية لا بد أن تضحي، ولكنه ﷺ بشّره أيضا قائلا: ارجع واصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك فرجًا ومخرجًا، وإنا صالحنا القوم، وإنا لا نغدر. هذا كان مستوى التزامه ﷺ بالعهود، لا تدنو الحكوماتُ الدنيوية اليوم من هذا المستوى العظيم، إذ يُتعَاهَد اليوم ويُنقض في اليوم التالي، ولكن مع هذا يجب أن نستعرض مستوى أنفسناأيضا في الالتزام بالعهود، ينبغي أن ننظر إلى نماذجنا في حياتنا اليومية، وإلى حياتنا العائلية ما إذا كنا نلتزم بالعهود، لأن النبي ﷺ قال عن الالتزام العهد في الحياة العائلية: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الأَمَانَةِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا. (صحيح مسلم) واليوم نرى أن بعض الناس يقومون بهذا العمل السافل والمشين والتافه، ولا يكتفون بالإفشاء شفويا فقط بل ينشرونه بالرسائل على واتس ايب وعلى وسائل أخرى للتواصل الاجتماعي مثل تويتر، إنهم أكثر الناس خيانة، وقد نهى الله تعالى عنها، ولو انفصل زوجين فلا يحق لأي منهما أن يُفشي سر الآخر أبدا، هذه خيانة كبرى تستوجب عقاب الله تعالى، وسيسأل الله تعالى عليها حتما، لذا يجب على مثل هؤلاء أن يحاسبوا أنفسهم، قال المسيح الموعود عليه السلام في موضع عن الإيفاء بالعهود: ما أسعدَ أولئك الذين يصفُّون أفئدتهم ويطهّرون قلوبهم من كل رجس، ويبرمون مع ربهم عهد الوفاء! فإنهم لن يُضاعوا أبدا، ومن المستحيل أن يخزيهم الله لأنّهم لله والله لهم، سيُعصمون عند كل بلاء. (سفينة نوح) فإذا كانت لنا علاقة خالصة بالله لعملنا

بأحكامه تعالى وتقيدنا بالعهود على مستوى البيت والمجتمع والتزمنا بعهودنا في العلاقات الأخرى وبالعهود التجارية. وبسبب التزامنا بجميع أنواع العهود ابتغاءً لمرضاة الله تعالى سيحمينا الله تعالى من كل نوع من الخسارة لأننا نلتزم بالعهود طاعة لأمر الله تعالى. وهكذا ينبغي أن يكون طريق الأحمدي والمسلم الحقيقي.

ثم التواضع خلق عظيم قال الله تعالى فيه: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان:٦٤) أي لا يتشاجرون مع الجاهلين بل يدعون لهم بالسلام ويتنحّون ولا يردون عليهم بالكلام السيئ. ماذا كانت أسوة النبي ﷺ في ذلك؟ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ. قال المسيح الموعود عليه السلام في مناسبة: "لا توجد في العالم أسوة أكمل من نبينا الأكرم ﷺ، ولن تكون إلى يوم القيامة. ثم انظروا، إنه ﷺ ظل عابدا كاملا بعد تلقّيه المعجزات الاقتدارية أيضا، وظل يقول دائما: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ حتى جعل إقرار عبوديته جزءا لا يتجزأ من شهادة توحيد الله التي لا يُعدُّ المرء مسلما بدونها، فكّروا ثم فكّروا. فما دامت أسوة الهادي الأكمل ﷺ تلقّننا درسا مفاده أنه لم يتخلّ عن العبودية بعد الوصول إلى أعلى مقام القرب أيضا، فإن تصوُّرًا غيرَه والتفكير بهذه الأمور باطل وعبث محض. (تقرير الجلسة السنوية عام ١٨٩٧م، ص١٤٠)

قال النبي ﷺ ذات مرة: إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ (وأقضي بناء على ما أسمع في حق الذي يتكلم أكثر ويقدّم أدلته أكثر) فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا. هذا مقتضى الأمانة ألا يأخذه وإن حُكم لصالحه، يمكنكم أن تجعلوا القاضي يقضي لصالحكم ولكن انتبهوا سيكون ذلك قطعة من النار لذا من الأحسن أن تتجنبوا هذه القطعة من نار جهنم، وقولوا بصراحة أنه ليس من حقكم بل هو حق الآخر. فالذين يسعون ليُقضى لصالحهم بغير حق يجب أن يتقوا الله. كان النبي ﷺ متواضعا جدا في البيت أيضا وكان يساعد أهله كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يساعد أهله في أعمال البيت فكان يغسل ثوبه ويقُمُّ بيته ويُفَلِّي ثوبه ويعقِل جمله، ويُرَقِّع دلوه ويعلف نَاضِحَهُ ويحلب شاته ويخدم نفسه، وإذا استعمل خادما أعانه حتى كان يعجن العجين معه، ويحمل أغراضه من السوق. في هذه الأيام يظهرون الكبرياء جدا وإذا لم يجدوا الثياب مغسولة جاهزة في الوقت

يثيرون الضجة في البيت مع أن الثياب لا تُغسل في هذه الأيام باليد بل بالغسالة ويمكن لهم أن يضعوها في الغسالة بأنفسهم ولكنهم لا يفعلون حتى هذا، لا تُقَمُّ البيوت في هذه الأيام بل توجد مكانس في كل مكان ويمكن للرجال أن يستخدموها بسهولة ولكنهم يتدللون مما يفسد جو البيت، فما دمنا أحمديين فيجب أن نُبدي نماذجنا.

حين ننظر إلى حياة النبي ﷺ خارج البيت نجد أسوته الحسنة أيضا منقطعة النظير، يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بيانا لذلك: إن المتكبر يريد أن يجلس على عرش الله ﷻ، فاستعيذوا دومًا من هذه الخصلة القبيحة. فتحلَّوا بالتواضع حتى لو كانت قد صدرت بحقكم جميع وعود الله، فالمتواضع حصرًا حبيب الله. فانظروا إن نجاحات نبينا ﷺ لم يكن لها نظير في الأنبياء السابقين، لكنه بقدر ما مكَّنه الله ﷻ من النجاحات ازداد تواضعًا.

ذات مرة جيء إليه ﷺ بشخص فرآه يرتجف خوفا فلما اقترب منه سأله بمنتهى اللطف والرفق "هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ". ثم يقول قداسة المسيح الموعود عليه السلام بيانا لتواضع النبي ﷺ وانكساره:

يجب اجتناب التفاخر الفارغ والاستكبار والخيلاء بغير حق، وينبغي التحلي بالتواضع والانكسار. انظروا، إن النبي ﷺ الذي كان في الحقيقة أعظم وأجدر بالجلال والكرم قد ورد نموذج تواضُعه في القرآن الكريم. فقد ورد أن أعمى كان يتعلم منه القرآن الكريم، ذات يوم حين جاء كان عند النبي ﷺ وجهاء مكة وزعماء القوم وكان يتكلم معهم، فبسبب انشغال النبي ﷺ في الحديث معهم تأخر قليلا فانصرف ذلك الأعمى. كان الأمر عاديا وبسيطا، لكن الله ﷻ أنزل سورة في ذلك، فذهب النبي ﷺ إلى بيت ذلك الأعمى وجاء به وفرش له رداءه المبارك وأجلسه عليه.

الحقيقة أن الذين في قلوبهم عظمة الله هم من لا يجدون بدًّا من التواضع لأنهم يخافون دوما استغناء الله ويرتجفون من خشيته. يقول المثل الفارسي: أكثر الناس معرفةً أكثرهم خشية.

ذلك لأن الله ﷻ إذا كان يكرم على أمر ما فهو يعاقب أيضًا على أمر. إذا غضب من تصرفٍ أحبط الأعمال كلها في لحظة، لذا يجب أن تتدبروا في هذه الأمور واحفظوها واعملوا بها.

كل نصيحة أسداها لنا النبي ﷺ فإنما لنعمل بها حتما، وإن نصائحه يجب أن تخلق فينا خشية، فقد قال ﷺ في موضع: لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ

يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوحُوا وَشَيْءٌ مِنْ الدُّلْجَةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا. أي اعبدوا واسلكوا طريقا وسطا.

فالاعتدال ضروري في كل عمل. لا تركضوا وراء الدنيا، وصحيح أن الله تعالى قد سمح بكسب الدنيا لكنْ يجب الاعتدال فيه، حيث يجب أن لا ينسى المرء الله. إن أداء حق عبادة الله ﷻ واجب، فعلى المرء أن يسعى لذلك، كما يجب أن تؤدوا حق التجارة وتهتموا بحقوق أنفسكم أيضا، وتسعوا لذلك، لكن حذار أن تكسبوا الدنيا على حساب حق الله ﷻ، بل يجب أن يكون الدين دوما مقدما على الدنيا. وإذا حققتم ذلك بلغتم مرادكم، ونلتم رحم الله وفضله.

إذا كان يترشح من هذا الحديث تواضعه ﷺ تظهر خشيته لله ﷻ وخوفه أيضا، حيث قال إذا كان هذا هو حالي أنا فكم يجب أن تسعوا وتهتموا بنيل رضوان الله ﷻ وطلبِ الرحم منه!

إنما نرث إنعامات الله ﷻ برحمته وفضله فقط، ولا نعرف بأي وسيلة سنُقبل، لذا يجب أن نهتم برفع معايير عبادتنا وأخلاقنا لاستنزال رحمته وفضله. إن الوضع الظاهري للإنسان وأسارير وجهه أيضا تعكس أخلاقه، فعن ذلك وصفَ الصحابة النبيَّ ﷺ. فعن البراء بن عازب ﷺ قال: كان النبي ﷺ أجمل الناس وأحسنهم خُلقا. والملاحظ أن الناس الحائزين على الجمال والحسن يتكبرون، أما النبي ﷺ فكان يدعو: "اللَّهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقِي فَأَحْسِنْ خُلُقِي".

لقد بينت لكم بعض الجوانب من حياته التي من خلالها يتجلى حسن سيرته، لكنه ﷺ كان يدعو الله لتواضعه أن تكون سيرته وأخلاقه وعبادته محببة إليه ﷻ وإلى مخلوقه. ثم هناك شهادة لصحابي آخر أنه لم ير أي وجه أكثر ابتسامة من وجه النبي ﷺ. تقول السيدة أم معبد عن النبي ﷺ:"أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُمْ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُمْ وَأَحْلاهُمْ مِنْ قَرِيبٍ".

وعن علي ﷺ قال كان النبي ﷺ أَشْرَحُهُمْ صَدْرًا وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً.

هناك أمثلة لا حصر لها لأسوته الحسنة وحسن أخلاقه. وإلى أي جانب من أخلاقه نظرنا وجدناه كاملا. وقد أمرَنا الله ﷻ بالتأسي بهذه الأسوة، إذا كنا نريد أن نُري العالم الوجه الحقيقي للإسلام والنبيِّ ﷺ فعلينا أن نريه واضعين في الاعتبار كل جانب من أسوته في أقوالنا وأعمالنا، عندها يمكن أن نؤدي حق بيعة المسيح الموعود عليه السلام الذي بعثه الله ﷻ في هذا الزمن لنشر دين النبي ﷺ. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع بيانا لأخلاق النبي ﷺ:

إن أخلاق سيدنا خاتَم النبيين ﷺ الفاضلة والمذكورة في القرآن الكريم تفوق أخلاق موسى عليه السلام بآلاف المرات، لأن الله تعالى قد قال إن حضرة خاتَم النبيين ﷺ جامع لجميع الأخلاق الفاضلة التي وُجدت في الأنبياء بصورة متفرقة. كما قال ﷻ في حق النبي ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ومعلوم أن كلمة "عظيم" حين تستخدَم في كلام العرب لمدح شيء، تكون في ذلك إشارة إلى كماله البالغ منتهاه. فلو قيل مثلا: هذه الشجرة عظيمة، لكان المعنى أن هذه الشجرة حائزة على أكبر قدر ممكن للأشجار من حيث الطول والحجم. كذلك إن مفهوم الآية القرآنية المذكورة آنفا هو أنه بقدر ما يمكن أن تحوز النفس البشرية من الأخلاق الفاضلة والشمائل الحسنة، فكل تلك الأخلاق الكاملة والتامة موجودة في نفس محمد ﷺ. فهذا أعلى وأرفع أنواع المدح على الإطلاق الذي لا يوجد أعلى منه.

ثم يقول عليه السلام: "إن الإنسان الذي أبدى بذاته وصفاته وأفعاله وأعماله وبقواه الروحانية المقدسة المتدفقة كالنهر نموذجَ الكمال التام علما وعملا وصدقا وثباتا وسمي إنسانا كاملا، ذلك الذي كان أكمل إنسان وأكمل نبيّ، وجاء ببركات كاملة، فظهرت القيامة الأولى في الدنيا بسبب البعث والحشر الروحانيَين، وببعثته عاد العالم الميت بأسره إلى الحياة، هو النبي المبارك سيدنا خاتم النبيين، إمام الأصفياء، ختم المرسَلين فخر النبيين جناب محمد المصطفى ﷺ. فيا ربنا الحبيب أنزل على هذا النبي الحبيب رحمة وبركة لم تُنـــزلهما على أحد منذ بدء الخليقة. لو لم يأت هذا النبي العظيم في الدنيا لما كان عندنا دليل على صدق بقية الأنبياء الصغار الذين جاؤوا إلى الدنيا مثل يونس وأيوب والمسيح ابن مريم وملاخي ويحيى وزكريا وغيرهم وإن كانوا كلُّهم مقرّبين ووجهاء وأحباء الله. فمن منّة هذا النبي أنهم عُدُّوا صادقين في الدنيا. اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وآله وأصحابه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نسأل الله ﷻ التوفيق لأداء حق الانتماء إلى أمة هذا النبي الكامل، وإزالةِ ظلمات الدنيا بتقديم هذا الوجه الجميل إليها، وفقنا الله ﷻ لذلك. آمين. الآن شاركوني في الدعاء.